مجلة التراث العلمي العربي فصلية، علمية، محكمة
العدد الثاني – 2017م

العامل الاقتصادي وأثره في نشوء المدن الإسلامية وتطورها (بخارى) أنموذجاً

م.د جنان عبد الكاظم لازم
جامعة بغداد /كلية التربية للبنات

الملخص

هنالك دوافع واسباب تقف وراء نشأة او تطور المدن ، وان تلك الدوافع لا تعدو ان تتعلق بالجوانب السياسية او الاقتصادية او الفكرية. وان من اهم الدوافع التي نتج عنها تكون الدول هي الدوافع الاقتصادية التي تقف بالدرجة الأساس في مقدمة الدوافع الأخرى، وذلك لان الصراع السياسي الذي يحدث بين جهتين متصارعتين لايحصل ان لم يكن هناك اغراض مادية –اقتصادية – دفعت تلك الجهتين للتصارع، وعليه، فكان الدافع الاقتصادي من بين اهم الدوافع التي ادت الى نشوء ومن ثم تطور مدينة بخارى من بين المدن المشرقية الأخرى الأمر الذي ادى بها الى الرقي والازدهار وعلو الشأن، ناهيك عن الموقع الجغرافي الذي تحلت به بخارى الذي اكسبها مكانة متينة وعلاقات مترابطة مع المدن المتجاورة التي اصبحت فيما بعد من اهم المراكز المهمة في تطور الجانب الاقتصادي لها. ولا نغفل التطور العمراني الذي لحقها نتيجة للتطور الاقتصادي بعد ان اصبحت مدينة حضرية مهمة، فالتخطيط العمراني المتمثل بالاسواق والمساجد ودار الامارة والمنازل الصغيرة والكبيرة، جعل منها مدينة تختلف عن غيرها من المدن فمضافاً لتطورها الاقتصادي جانبها العمراني.

المقدمة

للعامل الاقتصادي اثر حاسم في نشأة المدن وتطورها ورسم خططها، كما يساهم في تحديد الأطر الاجتماعية والسياسية، وهو بهذا المعنى يعد الشفرة السرية التي تكاد تقوّم نشوء المجتمعات الحضرية من جهة، والسبب المباشر لانقسام المدن ونشوء الاستعمار والحروب من جهة اخرى حتى يُخيل للرائي انه – العامل الاقتصادي – سلاح ذو حدين.

ومن هنا كان السبب المباشر في دراسة العامل الاقتصادي وأخذه على العاتق لتوضيح معالم نشوء أو تطور المدن، ولاسيما ان بلدان المشرق الاسلامي لم تحض بالتدقيق والمساجلة كما كان ارث الدولة العباسية او الدولة الأموية يعضد هذا كله وجود من مشرقية تستحق العناية والذكر، الاوهي مدينة بخارى التي اصبحت الانموذج الحي لتلك الدراسة، لما تمتعت به من جوانب مهمة في ناحية الموقع الرابط بين الخطوط التجارية الصينية والاسيوية فضلا عن اراضيها الخصبة التي اعطت وفرة في الانتاج الزراعي مقارنة بغيرها من المدن، ناهيك عن تعاضد عوامل اخرى دينية او سياسية جعلت منها قبلة يعني بها المختص بدراسة المشرق الاسلامي ومهما يكن من امر فان قلة المصادر التي تناولت الموضوع لاتقف حاجزا من أهمية الموضوع والصبر على انجازه بأكمل وجه لذا فقد سار البحث على على النحو الاتي: التعريف بمفهوم المدينة وتوضيح اثر العامل الاقتصادي وأثره في نشأة المدن الاسلامية وتطورها.

مفهوم المدينة

المدينة لغة ماخوذة من مدن بالمكان اي اقام به وفلان مدن المدائن يعني مصرها والمدينة هي الحصن يبنى في اصطمة من الارض وكل ارض بنى بها حصن في اصطمتها فهي مدينة[١]، وتعني ايضا كبرها واتساعها والنسبة اليها مديني والجمع مُدن او مَدائن[٢].

ووردت في القران الكريم ايات متعددة تتعلق بتحديد معنى المدينة وبعض من معايرها، حيث وردت تعابير المدينة في الكتاب الكريم لتبين وبوضوح الحدود التمدنية للكلمة ومن بين تللك الايات قولهُ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ"[٣].

يتجلى لنا- هنا ان لفظ الكلمة انما جاء ليشير الى مكان تجمع وتواجد الناس،ولماجاء ذكر اللفظة في سورة التوبة بقوله تعالى وَالسَّابِقُونَ

الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [٤] **، فيقصد بها مدينة يثرب، وعندما يمر ذكر اللفظة في سورة الكهف عن طريق قوله تعالى وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا**[٥].

نجد حال اللفظة قد توسع – بعض الشي – كما جاء ذكره سابقاً فالمدينة بهذا الواقع انما تعني السوق الذي يشكل المركز الاقتصادي في وقت يعد فيه التبادل النقدي هو اساس النشاط الحيوي في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وان الايات الكريمة التي ورد فيها ذكر المدينة اعلاه في اغلبها يشير الى المدن الرئيسة الكبيرة وذلك لمجي ايات متعددة اخرى فيها تعبير القرية التي قد يكون المقصود فيها المدينة الصغيرة كقوله تعالى أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [٦]**، وقال تعالى وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ** [٧].

ولعل ماجاء في لفظة (القرية) له مساس في المدينة ذلك لان القرية هي كل مكان اتصلت به الابنية واتخذ قراراً وتقع على المدن.

والمدينة في الحديث النبوي الشريف تقف جنبا الى جنب مع الايات القرانية المباركة لتعطينا تفسيراً واقعياً عن المدينة حتى نجده يكاد ان يكون مطابقاً لما ورد ذكره في الايات القرانية ذلك لان الاحاديث تحتوي على معلومات اجتماعية واقتصادية وسياسية ودينية غنية لايمكن الاستغناء عنها في الكتابة عن بعض الجوانب من التاريخ الاسلامي فالأحاديث التي تضمنت التحدث عن المدينة تشير بصورة عامة الى المدن الكبيرة المستقرة.

اذ جاء في الحديث عن اسلم بن عمران انه قال:(غزونا من المدينة نريد القسطنطينية وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد والروم ملصقوا ظهورهم بحائط المدينة فحمل رجل على العدو....)[٨]**، وفي الحديث**

اشارة واضحة تدل على ان بداية انطلاق الغزوة انما كان من المدينة المنورة التي كانت - وبدون ادنى شك – هي المكان الوحيد لتجمع المسلمين وانطلاقهم الى مدن اخرى، ولعل الحديث فيه اشارة اخرى اقل صراحة من الاولى تدل على ان القسطنطينية هي مدينة ايضاً[٩].

كما ورد في الحديث الشريف استعمالاً اخر لتعبير المدينة يصفها بالميناء اوالمرفأ فقد جاء مایاتي((سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب في البحر...). فضلاً عما الى ماورد من اشتمالها معنى الحصن اذ جاء في الحديث:(وينحاز المسلمون الى مدائنهم وحصونهم) [١٠].فالمدينة تاريخياً تعد وحدة تشكيلية قديمة خبرها المجتمع الانساني منذ زمن يرجع الى سبعة الاف سنة .فالمدينة بحق اعظم منجزات الانسان المدني منذ الالف الثالث قبل الميلاد.

وعرفت المدينة عند الجغرافيين العرب ان (عند حصول الهيئة الاجتماعية لو اجتمعو(البشر) في صحراء لتأذوا بالحر والبرد والمطر والريح، ولو تستروا في الخيام والخرقاهات لم يأمنوا مكر اللصوص والعدو، ولو اقتصروا على الحيطان والابواب، كما ترى في القرى التي لا سور لها، لم يأمنوا صولة ذي بأس، فأكرمهم الله تعالى باتخاذ السور والخندق والفصيل فحدثت المدن والامصار والقرى والديار...واتخذوا للمدن سورا حصينا، وللسور أبوابا عدة حتى لايتزاحم الناس بالدخول والخروج،بل يدخل المرء ويخرج من اقرب باب اليه واتخذوا لها قهندزا لمكان ملك المدينة والنادي لاجتماع الناس فيه. وفي البلاد الاسلامية المساجد والجوامع والاسواق والخانات والحمامات ومراكض الغنم، وتركوا باقي مساكنها لدور السكان، فأكثر مابناها الملوك والعظماء على هذه الهيئة، فنرى أهلها موصوفين بالامزجة الصحيحة، والصور الحسنة والاخلاق الطيبة، واصحاب الاراء الصالحة والعقول الوافرة...ثم اختصت كل مدينة لاختلاف تربتها وهوائها بخاصية عجيبة، واوجد فيها الحكماء طلسمات غريبة ،ونشأ فيها صنف من المعادن والنبات والحيوان لم يوجد في غيرها واحدث بها أهلها عمارات عجيبة، ونشأ فيها أناس فاقوا أمثالهم في العلوم والاخلاق والصناعات)[١١].

وهذا التعريف تأكيد على الدلالة الحضارية لاقامة السور الذي يعني الامن لسكان المدينة ويبين النص وجود سلطة متمثلة في الحاكم او المللك وكذلك اشارة الى ال ماتتمييز به المدن من منشأت وتكوينات ارتبطت بحياة

ساكنيها وحضارتهم مفرقاً بين المدين الاسلامية وما عداها واشار الى القيمة الحضارية بحياة المدينة باعتبار طبيعة اهلها وسماتهم واشار الى اختلاف طبيعة الارض والمناخ على النشاط البشري وميز بين مجتمع المدينة عن مجتمع المدينة الاخرى فوازن تعريفه بين المنظور المادي والمنظور الاجتماعي بصورة تؤكد سبق الفكر الاسلامي في ادراكه المقاييس والمعايير التي تميز المدينة.

وذكر قدامة بن جعفر المعايير التي تبين السبب في نشأة المدينة بقوله: (افعال النفس المميزة ، وتصاريفها الكثيرة المختلفة وحاجة الانسان بسببها وبسبب الجسم الذي لم يكن للنفس في هذا العالم بد منه ، واسعة منتشرة وتعت هذه الاحوال والصناعات والمهن فصارت على حسبها في الكثرة، ولم يكن في وسع انسان واحد استيعاب جميع الصناعات المتفرقة، وكان لابد للناس من ضرورة قادتهم الحاجة الى الترافد واستعانة بعضهم ببعض ليكمل باجتماع جميعهم، لان هذا يبذر لهذا قمحا يتقوته،وهذا يعمل لهذا ثوبا يلبسه، وهذا يصنع لهذا بينا يكنه ويستره وهذا ينجز لهذا بابا يغلقه على بيته، وهذا يخرز لهذا خفا يمنع به الافات عن رجله وغير ذلك.....)[١٢].

يبين النص اشارة واضحة الى ان نشأة المدن مرتبطة بحاجات الانسان التي تختلف من شخص الى اخر لاختلاف طبيعة النفوس كما انه يشير الى تركيب الطبقات الاجتماعية في المدن وحاجة كل منها الى الاخرى، سواء كانت هذه الطبقة منتجة للغذاء مباشرة او انها توفر حاجات ضرورية اخرى ومن ثم تتضح الروية الواسعة لتكوين مجتمع المدينة .

العامل الاقتصادي وأثره في نشوء المدن (بخارى) أنموذجاً.

أ- موقع بخارى

يذكرفامبري :(بان بخارى لم تكن تمتاز بخصائصها الطبيعية فحسب بل كانت سوقاً رئيسياً تلتقي فيه تجارة الصين واسيا الغربية)[١٣].

وهذا يبين لنا اهمية هذه المنطقة التجارية لوقوعها على ملتقى الطرق التجارية حيث تاتيها التجارة من الصين واسيا الغربية وشجع هذا الموقع على ازدهار بخارى أقتصادياً حتى عدت بخارى سوقاً رائجاً مهماً لتجارة الصين واسيا الغربية. ومن الجدير بالذكر ان التجارات وعرض السلع يتطلب بناء خطط ومراكز تحفظ فيها البضائع والسلع القادمة من الدول لحين التصرف بها وبيعها في الاسواق المحلية. ومن هنا جاءت الحاجةالى بناء

اماكن لخزن السلع والبضائع في الاسواق مما تطلب وفق هذا العامل الى ظهور مباني عمرانية متمثلة بالمحلات وما تطلب من ازدياد هذه المحلات الى مباني اخرى مثل القيسريات فأصبحت هذه الاماكن مناطق جذب سكانية .

وعدها الجند الذين فتحوا خراسان باباً جديداً ينبغي اجتيازه للوصول الى عالم جديد لنشر الاسلام فيه(١٤)، وهذا يبن لنا ان العرب الفاتحين لهذه المنطقة وجدوا ان من الضروري فتح هذه المنطقة لوقوعها بين خراسان وبلاد ماوراء النهرورجح المسلمون بأن هذه المنطقة سوف تفتح لهم افاقاً لنشر الاسلام الى ابعد الحدود وان نشر الاسلام في هذه المنطقة يتطلب بناء مسجد فيها يساعد على الى استقرار للعرب الفاتحين وما يتبعه من تخطيط المنازل والاسواق وكل مايتطلبه الاستقرار من اجل تعرف اهالي البلاد المفتوحة على تعاليم الدين الاسلامي ومبادئه من خلال التعايش السلمي ، وهذا يبين لنا بأن الاسلام انتشرفي المشرق الاسلامي بفضل التعايش السلمي مع سكان المناطق المفتوحة . فيصف الاصطخري موقع مدينة بخارى بقوله:(بأنها اول الكور في بلاد ماوراء النهر ، فمن كان بها فخراسان أمامه ، وماوراء النهر وراءهُ)(١٥). وعرف عن بخارى انها قصبتي الصغد بأقليم ماوراء النهر(١٦).

ب- نشأة بخارى

لعل السبب الأقوى في نشوء مدينة بخارى هو أرضها الخصبة الصالحة للزراعة والتي ازدهرت لذلك بفعل الترسبات وزيادة نسبة الطمى المحمول من الأنهار مما أعطاها الأهلية لتكون ارضاً زراعية ذات نشاط اقتصادي كبير ، فيصف النرشخي نشأة بخارى بقوله:(بان الثلوج كانت تذوب بالجبال بناحية سمرقند كونت الماء الكثير الى جانب ماء اخر كان ياتي من نهر بنفس الناحية (نهر ماصف) وظل هذا الماء يحمل الطمى الى ناحية (بتك)و(قرب) الى ان طمر ذلك الموقع الذي يقال له بخارى(١٧).

اذ ان جملة من العوامل تظافرت على نشوء المدينة (بخارى) كان على رأسها (العامل الاقتصادي) المتمثل بالزراعة والتجارة لوقوعها على ملتقى الطرق التجارية فضلاً عن العامل السياسي والديني المتمثل بنشر الاسلام في هذه المنطقة فكل عامل من هذه العوامل كان له دور في نشوء عمران معين ، فالعامل الديني ساعد على اقامة المساجد واستقرار الاهالي ليكونوا قاعدة لانطلاق الاسلام ونشره ، والعامل الاقتصادي ساعد على نشوء عمران اخر الاوهو الاسواق وبيوت الضيافة للتجار والمخازن الكبيرة

للاسواق دار الامارة ، اما العامل السياسي تطلب وجود دار الامارة التي تركزت في القهندز في بخارى.

وظهرت بعد ذلك المدينة تبعاً للتطور السياسي الذي شهدته المنطقة ، فكان الناس في بادي الامر يعيشون في الخيام . فتجمعوا وتكاثروا على مر العصور وبنو العمائر واختاروا من بينهم شخصاً اسمه (أبروى) نصبوه أميراً عليهم .

فتحت بخارى سنة(٩٠هـ) بعد حملات عديدة اخرها في ولاية قتيبة بن مسلم الباهلي (٨٦هـ-٩٦هـ)[١٨]. اذ ان نشأتها قديمة لكن حُدثت في زمن الدولة العربية الاسلامية.

ج- الخطط

١- المسجد الجامع

لقد أفرز العامل الديني المتمثل بالرغبة في نشر الاسلام في اي مكان يتمكن المسلمون من الوصول اليه اثره الكبير في زيادة العمران وذللك ببناء المساجد التي من شأنها تلبية الحاجات الضرورية الا وهي العبادة واقامة الصلاة والخطبة والوعظ والارشاد . اذ امر قتيبة ببناء المساجد سنة ٩٤هـ في قلعة المدينة[١٩]، وكانت له رحبات عدة نظاف وكل مساجد المدينة كانت بهية وكان عددها ثلاثة مساجد، مسجد بني سعد، مسجد بني حنظلة، ومسجد القريشين[٢٠]، وبعد ذلك ظهرت وظيفة اخرى للمسجد وهي الوظيفة التعليمية المتمثلة بتدريس العلوم والثقافات الاخرى وادى ظهورها الى تخصيص اماكن للمساجد حيث تتولى التعليم الى جانب العبادة فبدأت نواة المدارس داخل المساجد وتعد المساجد المركز الديني والثقافي لسكان المدينة الذي يقصدها الناس من مختلف المناطق المحيطة لتأدية فريضة الصلاة وللافادة من العلوم المختلفة والثقافات المتنوعة لكونه مركز استقطاب وحركة عامة[٢١].

ولربما السبب في التاكيد على قرب المسجد من الاسواق هو لزيادة الوازع الديني لدى اصحاب الحرف والصناعات لان السوق هو المكان الذي تظهر فيه المعاملات ويتحمل الحلال والحرام في المعاملات . ولاننسى ان اول من سن هذه السنة هو النبي محمد (ص) عندما جعل الاسواق قريبة من المسجد،

ان تأثير المسجد العام في النفوس من حيث التاكيد على الجانب الديني وكذلك تأثيرهُ في الباعة ومنعهم من الغش والتدليس فكانت الاسواق

بالقرب من المسجد الجامع لسد حاجات الناس الروحية والسوق يلبي حاجاتهم المعيشية[٢٢].

٢- دار الإمارة

بني دار الإمارة في السهلة يقابل القهُندز ويستدبر القبلة فيصف المقدسي باب الدار بقوله (لم ارَ في الاسلام باباً اجل ولاأهيب من هذا الباب)[٢٣]،ويدل ذلك على روعة ذلك البناء الذي يستهوي الناظر اليه.

٣- خطط الاهالي

قسم قتيبة بن مسلم الباهلي المدينة فأنزل ربيعة ومضرالمنطقة الممتدة من باب العطارين الى باب القبلة الى باب نون والباقي لاهل اليمن[٢٤]، واخذت عدد من الابواب أسم عدد من القبائل العربية مثل باب بني سعد وباب بني اسد وكان للمدينة سبعة ابواب باب نور ، باب خفرة، باب الحديد، باب القهُندز، باب المدينة وخلفها قهندز وللربض عشرة دروب ، درب الميدان، درب ابراهيم، درب مردكشان، درب كلاباذ، درب نوبهار، درب سمرقند، درب فغاسكون، درب الرامنثية، درب حد شرون، درب غشنج[٢٥]، وغالبية السكان داخل السور كانوا من العرب المقاتلة وان سكان المنطقة الاصلين فضلوا اقامة دور لهم في ظهر المنطقة ، فيذكر فامبري (خرجوا من ديارهم واقاموا لهم دوراً جديدة بظاهر المدينة حيث كانوا يملكون بساتين جميلة)[٢٦].

وتتميز مدينة بخارى بانها كثيرة العمران مزدحمة في الدور وتكون دورها ضيقة ومتصلة فيصفها المقدسي بقوله(بلد اشد عمارة واكثر ازدحاماً على سكناه وشوارع فسيحة وبناء ظريف. غير انها ضيقة البيوت)[٢٧].

٤- الاسواق

لم تكن بخارى مدينة ضخمة تمتاز بخصائصها الطبيعية فحسب بل كانت سوقاً رئيساً تلتقي فيه تجارات الصين واسيا الغربية ، فكانت الاسواق في باديء الامر بالقرب من المسجد الجامع وذلك لصلة السوق بالمسجد .اذ يعد المسجد المركز الديني والثقافي لسكان المدينة الذي يقصده *الناس من مختلف المناطق المحيطة لتأدية فريضة الصلاة وخاصة صلاة الجمعة للافادة من* العلوم المختلفة والثقافات المتنوعة لكونه مركز استقطاب[٢٨].

وبعد ان كانت الاسواق في بخارى مقتصرة على داخل المدينة بالقرب من المسجد الجامع، بدأت الاسواق بالتوسع والتحول الى الربض المحيط

بالمدينة فيصف الاصطخري الاسواق بقوله: (اكثر الاسواق والتجارات في الربض الاشيئاً يسيراً في المدينة)[٢٩].

النص السابق يبين لنا انتعاش نشاط الاسواق بعد الاستقرار العسكري الذي تمتعت به اقاليم ماوراء النهر بشكل خاص اذ استعادت المراكز التجارية والاسواق نشاطها .فكانت بخارى مركزاً لاستقطاب التجار ومجالاً حيوياً للنشاط المالي وكانت الاسواق عنصراً رئيساً في رخاء المدينة وازدهارها.فوصف الاصطخري اسواق بخارى بانها: (مليحة)[٣٠]،وهذا يدل على حسن منتوجات أسواقها.

واسواق بخارى مظللة لحمايتها من الحر صيفاً ومن الامطار شتاءً وفي اغلب الاحيان تكون المظلات مصنوعة من الاخشاب[٣١]، والاسواق في بخارى على نوعين : موسمية ودائمية . الاسواق الموسمية كانت تعقد لمدة زمنية محددة سواء اسبوعية اوشهرية او سنوية . اذ كانت تقام في قرية طواويس التابعة لمدينة بخارى اسواقاً سنوية لمدة عشرة ايام في فصل الربيع وقيل في اواخر الخريف من كل عام وكان يرتاد هذا السوق اكثر من عشرة الاف شخص من التجار واصحاب الحوائج من الاقاليم لعرض بضائعهم في هذا السوق وهذا سبب ثراء اهل هذه القرية[٣٢]. اما قرية اسكجكث من قرى بخارى كانت التجارة مصدر ثراء اهلها ويقام السوق فيها كل يوم خميس من كل اسبوع[٣٣]. وفي قرية أفشة يقام سوقها ليوم واحد من كل اسبوع ايضاً[٣٤]. وقرية شرغ فيقام فيها السوق لعشرة ايام في فصل الشتاء وكان يقصدها التجار من بخارى ونواحيها[٣٥]. اما قرية رامتين فيقام سوقها كل خمسة عشر يوماً[٣٦]. ويذكر البيروني: (لأهل السغد في شهورهم اعياد كثيرة وايام معلومة معظمة على مثال ما للفرس)[٣٧].

لربما هذا يفسر سبب اقامت هذه الاسواق في ايام معينة من الاسبوع او في الشهر.

اما اسواقها الدائمية تفتح كل صباح وتكون مليئة بالحركة اسواقها مليئة بالبضائع . وتهجر ليلاً ولايبقى في الاسواق سوى الحراس[٣٨].

اذ ان موقعها التجاري وازدهار الاسواق فيها دعت الحاجة الى بناء المفاخر الحدودية او الابراج لحماية هذه الاسواق ولتوفير الامن الى رواد هذه الاسواق مما ادى الى تطوير عمران المدينة نتيجة للنشاط الاقتصادي وازدهاره .

واكثر المحاصيل التي امتازت بها بخارى بانتاجها القمح والفاكهة والذي كان لايسد حاجة المدينة[٣٩]، اما انتاجها من الحرير والديباج والقطن فكان للتصدير ، واشتهرت بانتاج المنسوجات القطنية واجود انواع الابسطة والمصوغات الفضية والذهبية حيث كانت تصدر هذه المنسوجات الى مختلف الاقاليم[٤٠].

٥ ـ الطرق التجارية

لموقع بخارى المهم والكائن على مركز الطرق التجارية تطلب انشاء مراكز تجارية تقوم بتنظيم عملية سير التجارة . فضلاً عن احتوائها مركز مهم للصيرفة يستبدل فيها سكان اسيا الشرقية والغربية نقودهم بواسطة اهل بخارى . فبرزت أسواق الصيارفة لتحويل العملات وتصريفها في منطقة يمكن عدها ذات عملة ثنائية. واعتمادهم على الدراهم الفضية المحلية وعلى الدنانير الذهبية الواردة من الاقاليم الاخرى حيث يقوم الصيارفة بتحويل الأموال وصرفها التي يحملها التجار من والى الاقاليم بأختلاف انواعها واوزانها من محلات الصيارفة ، فكانت بخارى تتعامل بالدراهم وتعد الذهب نوعاً من السلع والعرض، اذ ساد استخدام الدراهم الفضية في التداول المحلي والتعامل التجاري وتعد بخارى من اكبر مراكز دور الضرب[٤١].

ونتيجة لموقع بخارى على الطرق التجارية تطلب العناية بالطرق من اجل المحافظة على امن المسافرين وسلامتهم والقوافل التجاري ،اذ ان النشاط الاقتصادي لايمكن ان يزدهر الا في ظل الامن والاستقرار .

من هنا برز أثر الولاة في السيطرة على الطرق ببناء المخافر وانشاء ابنية لحرس الحدود (الربط) ودوائر البريد المجهزة بالخيول وما يحتاجه المسافر[٤٢]، وكانت تعقد بين الاقاليم اتفاقيات لحماية القوافل التجارية المارة[٤٣]. وتطلب النشاط التجاري في مدينة بخارى العناية بالقوافل التجارية وضيافتها واتخاذ الربط والخانات وذلك لإيواء التجار وتسهيل أمر معاملاتهم عبر مناطقها وانعكس هذا الأمر على أهالي المنطقة الذين اعتادوا على الترحيب بالضيوف والعناية بالتجار وبالقوافل المارة في مناطقهم ،فوصفهم الاصطخري بانهم (أصحاب بشاشة وسماحة)[٤٤]، ووصفهم ايضاً بقوله: (إنك لاتجدُ فيهم صاحب ضيعة الا كانت همتهُ ابتناء قصر فسيح ومنزل للاضياف ...فنراهُ متانقاً في أعداد ما يصلح لمن طرقه فإذا حل بينهم طارق تنافسوا فيه وتنازعوه)[٤٥].

ومما تقدم يمكن القول ان موقع مدينة بخارى انعكس ايجاباً على ازدهار النشاط الاقتصادي وهذا ادى الى ازدياد في عمران المدينة وتطورها ولموقعها اثر كبير في نشاط أسواقها ومن ثم إلى استحداث مباني جديدة كالخانات والربط والحمامات وهذا يمثل ازدهار المنطقة.

الخاتمة

بعد جولة – ليست بالقصيرة- في ميدان البحث والتقصي عن الجوانب الاقتصادية وما لها من الاثر المهم في تطور البلدان ونشوءها و لاسيما الإسلامية منها لاسيما ما أرخنا له فيما يهتم بمدينة بخارى الأنموذج الحي لبلدان المشرق الإسلامي، خرج الباحث بجملة من الأشياء توجز بما يأتي:

من دون ادنى شك، بان دوافع واسباب تقف وراء نشأة او تطور المدن ، وان تلك الدوافع لا تعدو ان تتعلق بالجوانب السياسية او الاقتصادية او الفكرية. وان من اهم الدوافع التي نتج عنها تكون الدول هي الدوافع الاقتصادية التي تقف بالدرجة الأساس في مقدمة الدوافع الأخرى، وذلك لان الصراع السياسي الذي يحدث بين جهتين متصارعتين لايحصل ان لم يكن هناك اغراض مادية –اقتصادية – دفعت تلك الجهتين للتصارع، وعليه، فكان الدافع الاقتصادي من بين اهم الدوافع التي ادت الى نشوء ومن ثم تطور مدينة بخارى من بين المدن المشرقية الأخرى الأمر الذي ادى بها الى الرقي والازدهار وعلو الشأن، ناهيك عن الموقع الجغرافي الذي تحلت به بخارى الذي اكسبها مكانة متينة وعلاقات مترابطة مع المدن المتجاورة التي اصبحت فيما بعد من اهم المراكز المهمة في تطور الجانب الاقتصادي لها. ولا نغفل التطور العمراني الذي لحقها نتيجة للتطور الاقتصادي بعد ان اصبحت مدينة حضرية مهمة، فالتخطيط العمراني المتمثل بالاسواق والمساجد ودار الامارة والمنازل الصغيرة والكبيرة، جعل منها مدينة تختلف عن غيرها من المدن فمضافاً لتطورها الاقتصادي جانبها العمراني. واخيراً وليس اخراً لم يكن لتلك الدوافع واسس الازدهار من شي في علو شان بخارى ، ان لم يعززها جانب الامن والاستقرار الذي كان أثره واضحا من قبل الولاة انذاك الذين عززوا جانبها الاقتصادي انذاك.

الهوامـــــــــش

[1] ابن منظور، ابو الفضل محمد بن كرم الانصاري(ت٧١١هـ/ ١٣١١م)،لسان العرب، بيروت، ١٩٧٠م، ج١٧، ص٢٨٨-٢٨٩.
[2] الفيروز ابادي،مجد الدين محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ/ ١٤١٤م)،القاموس المحيط، بولاق، ١٢٨٩هـ، ج٤، ص١٩٥.
[3] القران الكريم، سورة الاعراف، اية١٢٣.
[4] القران الكريم، سورة التوبة، اية١٠٠.
[5] القران الكريم، سورة الكهف، اية١٩.
[6] القران الكريم، سورة البقرة، اية٢٥٩.
[7] القران الكريم،سورة الاعراف،اية٩٤.
[8] ابن ماجة،ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت٢٧٣هـ/٨٨٦م)،سنن ابن ماجة،تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي،دار احياء الكتب العربية،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه،مصر،١٩٥٣،ص ١١-١٣.
[9] ناجي، عبد الجبار،دراسات في المدن العربية الاسلامية،جامعة البصرة، ص٥٥.
[10] ناجي، دراسات في المدن، ص٥٦.
[11] القزويني، زكريا بن محمد (٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م، ص٧-٨.
[12] الخراج وصناعة الكتابة، تعليق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر،١٩٨١م، ص٤٣٢.
[13] ارمينوس، تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمه وعلق عليه:د. احمد محمود الساداتي، راجعه وقدم عليه: يحيى الخشاب، مطابع شركة الاعلانات الشرقية، ١٨٧٢م، ص٢٥.
[14] البلاذري، احمد بن يحيى (٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان، نشر: صلاح الدين المنجد، القاهرة،١٩٥٧م، ص٣٩٣.
[15] الاصطخري، ابو اسحق ابراهيم بن محمد(ت١٦٤هـ/٧٨٠م)، مسالك الممالك، بعناية: ديفوية، ليدن، ١٩٢٣م، ص٣٠٥.
[16] البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٩٣.
[17] ابو بكر محمد بن جعفر(٣٤٨هـ/٩٩٤م)، تاريخ بخارى، ترجمة: امين عبد المجيد ونصر الله الطرازي،ط٣، مطبعة دار المعارف، القاهرة، بلا.ت،ص١٩.
[18] النرشخي، تاريخ بخارى، ص٨.
[19] النرشخي، تاريخ بخارى، ص٧٤.
[20] النرشخي، تاريخ بخارى، ص٨٢-٨٣.
[21] النرشخي، تاريخ بخارى، ص٧٤.
[22] الثامري، احسان ذي النون، الجغرافية التاريخية لمدينة بخارى في القرون الهجرية الاولى، ط١،مطبعة الناصر، عمان، ١٩٩٩م، ص١٤٠.

[24] النرشخي، تاريخ بخارى، ص٨٠،؛ فامبري، تاريخ بخارى، ص٦٩.
[25] المقدسي، احسن التقاسيم، ص٢٢٢-٢٢٣.
[26] تاريخ بخارى، ص٧٤.
[27] احسن التقاسيم، ص٢٢٢.
[28] النرشخي، تاريخ بخارى، ص٣٠-٣١.
[29] مسالك الممالك، ص٣١٧.
[30] مسالك الممالك، ص٣١٧.

[٣١] النرشخي، تاريخ بخارى، ص٢٨.
[٣٢] النرشخي، تاريخ بخارى، ص٢٨؛ البيروني، أبي الريحان محمد بن احمد (٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م)، الاثار الباقية عن القرون الخالية، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، ط١،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م، ص٢٠٤.
[٣٣] النرشخي، تاريخ بخارى، ص٢٨.
[٣٤] النرشخي، تاريخ بخارى، ص٣١.
[٣٥] النرشخي، تاريخ بخارى، ص٣٠.
[٣٦] النرشخي، تاريخ بخارى، ص٣٤.
[٣٧] الثامري، الجغرافية التاريخية، ١٤٩.
[٣٨] الثامري، الجغرافية التاريخية،ص٤٩.
[٣٩] النرشخي، تاريخ بخارى، ص٢٥.
[٤٠] النرشخي، تاريخ بخارى؛ الاصطخري، مسالك الممالك، ص١١٦.
[٤١] فامبري، تاريخ بخارى، ص٢٥.
[٤٢] النرشخي، تاريخ بخارى، ص٢٨.
[٤٣] النرشخي، تاريخ بخارى، ٢٩.
[٤٤] مسالك الممالك،ص٣٨٩.
[٤٥] مسالك الممالك، ص٢٩٠.

المصادر الاولية

القران الكريم

١. الاصطخري، ابو اسحق ابراهيم بن محمد(ت١٦٤هـ/٧٨٠م).مسالك الممالك،بعناية: ديغوية، ليدن،١٩٢٣.

٢. البلاذري، احمد بن يحيى(ت٢٧٩هـ/٨٩٢م).فتوح البلدان، نشر: صلاح الدين المنجد،القاهرة،١٩٥٧م.

٣. البيروني، ابي الريحان محمد بن احمد(٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م).الاثار الباقية عن القرون الخالية،وضع حواشيه:خليل عمران المنصور،ط١،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،٢٠٠م.

٤. بن جعفر، قدامة. الخراج وصناعة الكتابة،تعليق:محمد حسين الزبيدي،دار الرشيد للنشر،١٩٨١.

٥. الفيروز ابادي،مجد الدين محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ/ ١٤١٤م).القاموس المحيط،بولاق،١٢٨٩،ج٤،ص١٩٥.

٦. القزويني، زكريا بن محمد(٦٨٢هـ/١٢٨٣م). اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر،بيروت،١٩٦٠م.

٧. ابن ماجة،ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت٢٧٣هـ/٨٨٦م).سنن ابن ماجة، تحقيق: فؤاد محمد عبد الباقي،دار احياء الكتب العربية،مطبعة السباعي، مصر،١٩٥٧م.

٨. المقدسي،شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابي بكر المقدسي البشاري(ت٣٧٥هـ/ ٩٨٥م).احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ليدن-١٩٠٦م.

٩. ابن منضور، ابو الفضل محمد بن كرم الانصاري(ت٧١١هـ/١٣١١م).لسان العرب، بيروت، ١٩٧٠م.

١٠. النرشخي، ابو بكر محمد بن جعفر(٣٤٨هـ/٩٥٩م). تاريخ بخارى، ترجمة:امين عبد المجيد ونصر الله الطرازي، ط٣،مطبعة دار المعارف، القاهرة، بلا.ت.
المراجع
١١.الثامري،احسان ذي النون.الجغرافية التاريخية لمدينة بخارى في القرون الهجرية الاولى، ط١، مطبعة الناصر،عمان،١٩٩٩م.
١٢.فامبري،ارمينوس.تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى العصر الحاضر،ترجمه وعلق عليه:د.احمد محمود الساداتي،راجعه وقدم عليه،يحيى الخشاب،مطابع شركة الاعلانات الشرقية،١٨٧م.
١٣.ناجي،عبد الجبار.دراسات في المدن الاسلامية، جامعة البصرة.

ECONOMIC FACTOR AND ITS EFFECT ON THE DEVELOPMENT OF ISLAMIC CITIES/ BUKHARA AS A SAMPLE

Dr. Inst. JINAN ABDUL KADHIM LAZIM
UNIVERSITY OF BAGHDAD / COLLEGE OF EDUCATION FOR WOMEN

Abstract

The economic element is very important in establishing cities. The economic factor plays a significant role in developing people, building cities and planning their maps. This factor indicate the social and political borders of urban societies ,consider as secret code and the main reason behind separation of big cities and controlling of colonization and wors. The economic Factor is seen as a weapon of two edges.

So, the main reason for choosing this factor is to clarity the features of cities development, especially that Islamic eastern countries did not take its place in studies as cities deserve to be in consider such as Bukhara which is the model of this study. For its important aspects as chain in the commercial line between chine and Asia . As well as, its fertile land which givs it the richness of agricultural production comparing with other cities. Its political and religious factors, also make it a start point to the studies of the specialists in Islamic Eastern cities.

The research has two issues:-

- It deals with the concept of (city)
- It deals with the influence of the economic factor in developing cities and the city of Bukhara is the model of the study.